الحصة التطبيقية رقم(2)

الرواية والمسرح(2)

المسرحة في الأدب الجزائري:

إن الوقوف عند مصطلح المسرحة أمرا صعبا نظر الاختلاف سياقات استعمالاته وتنوعها منذ أن استخدم لأول مرة، «**ويعتبر المسرحي الروسي نيكولاي ايفرينوف (1879–1954) N.Evereinoff أول من استخدم هذا المصطلح عام 1922، وقد اشتقه من صفة مسرحية بالروسية teatralnost للدلالة على ماهية المسرح وما يشكل جوهره**»[1]، وبالنظر إلى تنوع استعمال المصطلح فقد يختلط عند بعض المسرحيين مع المصطلحات الأخرى، التي تقترب منه إلى حد التماهي كمصطلح "التمسرح" Dramatisation الذي اقترن بمفهوم المسرحة في كثير من الأحيان عند ترجمتها إلى اللغات الأجنبية، حيث أن المسرحة هي «**الكلمة المشتقة من فعل مسرح الذي يستدعي في ذهن المتلقي معنى التحويل وإعادة مادة أدبية أو فنية أو حدث من الحياة اليومية للمسرح، وهو ما يطابق في اللغات الأجنبية كلمتي dramatisation théâtralisation فيقال مسرحة الرواية ومسرحة القصيدة .. إلخ، في حين أن المعنى المقصود هنا هو ما يشكل الخصوصية المسرحية (ماهية المسرح) في العمل المسرحي، تماما كما يقال عن الأدبية littérarité إنها خصوصية الأدب littérature في العمل الأدبي**»[2]، وعليه فكلمة "مسرحة" يقابلها أثناء عملية الترجمة إلى اللغات الأجنبية مصطلحات متعددة، منها تحويل النصوص الأدبية السردية والشعرية لتتناسب مع الشكل المسرحي، وكذا خاصية المسرحة التي تقابل مصطلح الأدبية في الأدب.

1- ماري إلياس وحنان قصاب، المعجم المسرحي، ص462.

2- المرجع نفسه، ص 462.

ولكن رغم أن مصطلحي المسرحية والتمسرح يتقاطعان في بعض النقاط إلا أنهما يختلفان من حيث الوظيفة وتحديد المعنى، حيث فرق بينهما باتريس بافيس بقوله : «**مسرحة حدث ما أو نص، هو ترجمة ركحية باستعمال خشبات وممثلين لاحتواء الموقف، فالعنصر المرئي للخشبة، وتموضع الخطابات هما سمتا المسرحة وعلى العكس يشمل مفهوم Dramatisation البنية النصية: وضع الحوار، خلق التوتر الدرامي وصراعات بين الشخصيات، دينامية الفعل الدرامي (الدرامي والملحمي)**»[3]، أي أن عملية التمسرح تقوم على إحداث التغيير والتحويل على مستوى النص المكتوب، في حين تشتغل المسرحة على الجانب المادي التقني من خلال ترجمة النص المسرحية ترجمة ركحية، وضع الحوار، خلق التوتر الدرامي وصراعات بين الشخصيات، دينامية الفعل الدرامي (الدرامي والملحمي).[4]

ولعل من أهم سمات المسرحة وتميزها عن المصطلحات الأخرى التي تتواشج معها هو ارتباطها بجوهر المسرح وكنهه، حيث: «**كان ظهور مفهوم المسرحة في الغرب في بداية القرن العشرين تعبيرا عن الحاجة في تلك المرحلة للخروج بالمسرح من نطاق الأدب والكلمة، وإعلانه كفن مستقل له خصوصيته المشهدية التي تبرز في لغة العرض**»[5]، إذن كان الهدف من المسرحة هو الخروج بالمسرح من المفهوم الأدبي إلى فن العرض الذي يرتبط بالحركة والصوت والتقنية ...الخ، وانطلاقا من هذه الخاصية وصفها الناقد الفرنسي رولان بارث: «**على أنها (المسرح بدون النص)، (أي بدون الجانب الأدبي في النص المسرحي)، وبأنها مجموعة من العلامات تتشكل على الخشبة انطلاقا من مخطط الحدث المكتوب، وبالإضافة إليه، مع كل ما يحمله ذلك من تأثير على المتلقي.**»[6]

3- باتريس بافيس، معجم المسرح، ص 70.

4- المرجع نفسه، ص 70.

5- ماري إلياس وحنان قصاب، المعجم المسرحي، ص 462.

6- المرجع نفسه، ص 463.

ومن السمات التي اتسمت بها المسرحة وميزتها عن غيرها من العمليات التي تسعى لتحويل النص الادبي أو الفني إلى المسرح؛ هو أنها تقوم على كسر الإيهام المسرحي لدى المتلقي، وذلك من خلال مشاركته في الفعل المسرحي وإدراكه بأن ما يشاهده ليس حقيقة بالرغم من اقتراب الأحداث من واقعه، وعليه فـ:« **المسرحة بمعناها الدقيق هي كل ما يحمل طابع الفرجة spectaculaire، وكل ما يحمل طابعا مصطنعا (بمعنى اختلافه عما يوجد في الحياة العادية) في النص والعرض، وكل ما يفترض الازدواجية**»[7]، إذن المسرحة هي تلك العملية التي تجعل من النصوص السردية التي تتوفر على عناصر الدراما تتجسد على خشبة المسرح، وليس أدبا محصورا في ثنايا الورق، فالمسرحة وفق هذا المعنى هي محاولة من قبل المخرج للعبور بالنص إلى الإخراج من أجل خصوصيات المسرح التي تجعله مختلفا عن غيره من الفنون الأخرى كالقصة والرواية والقصيدة، وذلك من خلال احتفاظه بالفكرة الأساسية للعمل الأدبي وتغيير كل ما ينتمي إلى الأدبية ليتم إبراز خصوصيات المسرح.

والعلاقة بين القصة والمسرحية علاقة واضحة في عدة جوانب، وهذا ما يساعد المسرحي على الغوص في ثنايا كل منهما ليبدع نصا جيدا، إن: «**العلاقة بين القصة والمسرحية علاقة التحام وبناء يصعب الفصل بينهما، فالأدب المسرحي هو القصة الممسرحة ذات الهدف أو القصة التي ترمي إلى تقديم الحدث عن طريق الحركة، والتي تقدم هذا الحدث تقديما يستوعبه القارئ أو المتفرج، ثم يخرج منه وقد حدث في نفسه شيء ما أو قد خرج بشيء ما، وهو ما قصد إليه المؤلف وما رمى إليه من وراء كلمته**»[8]، من خلال ما سبق يتضح أن المسرحة تقترب من الإعداد من حيث اشتغالها على مادة نصية أدبية بامتياز، بمعنى أنها لم تكتب للمسرح في الأصل كالقصيدة والرواية، وبالتالي فإن:«**المسرحة Théâtralisation في جوهرها شكل من أشكال الإعداد الدراماتوروجي ... لكنها تتميز بخصوصية الاشتغال على مواد نصية يحضر فيها العنصر الأدبي بقوة، لم تكتب**

7- المرجع السابق، 463.

8-حلمي بدير، فن المسرح، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط1 ،2003، ص75.

للمسرح في الأصل»[9]، وعليه فالمسرحة هي عملية أقرب إلى الإخراج المسرحي لاشتغالها على الجانب المادي التقني من خلال جعل النص قابلا للمسرحة والتشكيل الركحي.

وهذا جعل بعض الدارسين يعتبرونها مظهرا:«**أخر من مظاهر جماليات الكتابة الدرامية التي تؤكد سطوة المخرج – المؤلف، أي حضور الكتابة النصية التي تعتمد التصور المسبق للكتابة الركحية، فهي كتابة درامية تنطلق من الاشتغال على نصوص غير مكتوبة للمسرح في الأصل وتعمد إلى تجاوز أدبية littérarité هذه النصوص وتضمينها بخاصية التمسرح théâtralité حتى تصير قابلة لأن تكون مادة نصية يقوم عليها الانجاز المسرحي، إنها كتابة تشتغل على النص الشعري والسردي بشكليه القصصي والروائي، وتحوله إلى نص ممسرح قابل لأن يعرض فوق الخشبة، وهذا لا يعني تضمين النص الأدبي (شعرا كان أو رواية) داخل العمل المسرحي، بل إن الأمر يتعلق بتذويب هذه النصوص في كلية الانجاز المسرحي، بحيث تفقد استقلاليتها الذاتية/ الأدبية باعتبارها قصيدة شعرية أو نصا روائيا، لتصير من جنس العمل المسرحي بكل خصوصياته الدرامية.»**[10]

تتم عملية المسرحة إذن من خلال ترجمة النص الأدبي ترجمة ركحية تقوم على العديد من العناصر المرتبطة ببعضها كالحركة والصوت والمناظر ...إلخ، في حين تشتغل عملية الاقتباس على مستوى النص من خلال تكوين نص مسرحي عن عمل أدبي أو مسرحي، كما أن الحرية التي تسمح بها عملية الاقتباس في التصرف في العمل الأدبي لا تسمح بها عملية المسرحة، فالمقتبس يمكنه أن يغير في جميع عناصر النص المسرحي ويحتفظ بالفكرة العامة له فقط، في حين لا يمكن للدراماتوروج أن يغير في عناصره، حيث أن عمله لا يتعدى تحويل النص الأدبي (رواية قصة، قصيدة) إلى خشبة المسرح وتجسيده من خلال عناصر العرض المسرحي من حركة وصوت ومناظر مسرحية ...الخ.

9- عبد المجيد شكري، جماليات الكتابة الدرامية في المسرح المغرب، نقلا عن الموقع الإلكتروني b-elmussrati-blogspot.com تاريخ الزيارة : 2019/05/09، ص 01.

10- المرجع السابق، ص 1.

نشير أخيرا، أنه رغم تشابك مصطلح الاقتباس المسرحي مع بعض المصطلحات المسرحية الأخرى إلا أنه يمكن تمييزه من خلال تعريفه الذي يفيد بأن الاقتباس هو عملية تكوين نص مسرحي عن نص مسرحي، أو قصصي، أو روائي، مع ضرورة الحفاظ على فكرته العامة في مقابل تغيير عناصره الأخرى وتكييفها مع البيئة الجديدة التي سيحول إليها النص سواء على مستوى اللغة أو الحوار، أو العادات والتقاليد أو المواقف، أو الشخصيات ... وغيرها من العناصر.

المسرحة من الرواية في الأدب الجزائري:

اهتمت الكثير من المسارح الأوروبية والفرنسية منها خاصة، بالروايات الجزائرية وتحويلها إلى الركح،لكن اهتمامها كان منصبا على الروايات المكتوبة باللغة الفرنسية، كروايات محمد ديب وآسيا جبار" **رواية بعيدا عن المدينة"**، ثم مايسة باي وكمال داوود فيما بعد، وعبد القادر الجمعي، وياسمينة خضرا، لكن الاهتمام بالرواية المكتوبة باللغة العربية وامكانية مسرحتها لم يأتي ألا مؤخرا.

برزت في المسرح الجزائري مجموعة من الاقتباسات ك :**الحوات والقصر** التي 2007، والصدمة لياسمينة خضرا عام 2009، ثم كل من زياني شريف عياد صاحب مسرحية **بهيجة عام 2017** المقتبسة عن رواية" **بدون حجاب وبدون ندم**" لليلى عسلاوي، مراد سنوسي صاحب مسرحية **امرأة من ورق** المقتبسة من رواية "**انثى السراب**" لواسيني الأعرج، محمد بورحلة الذي اقتبس عن رواية "**اللاز**" للطاهر وطار، مثبتين أن اقتباس الرواية الجزائرية ركحيا يعد مكسب للمسرح الجزائري، فقد استعرضوا فيها تجربتهم الخاصة في المسرح، وبالتحديد عملية الاقتباس من الرواية إلى المسرح، رغم ما في الرواية من لغة السرد والتجريد التي اتسمت، أما الكاتب محمد بورحلة طرح فكرة الاقتباس والمسرحة من الروايات على أنه إبداع ينتقل فيه من البنية السردية إلى البنية المسرحية.

(تمت أ.حميدة سليوة)